النقد الثقافي وموجة العولمة

أ.بن سعيد محمد

المركز الجامعي نور البشير ـ البيض.

الملخص:

تكمن أهمية النقد الثقافي في ابتعاده عن الانتقائية، والاهتمام بالقيمة الثقافية للنص متجاوزا قيمته الجمالية، وربما الكشف عن جماليات أخرى لم يتم الانتباه إليها، كما ويهتم بالمقصي، والهامشي، والمضمر، والمسكوت عنه، والمهمّش... ولقد ازدادت هذه الأهمية تركيزا حينما تقاربت مجالات الدراسات الأدبية بمجالات العلوم الإنسانية. وبتجاوزه للنقد الأدبي فإنه يكتسح مناطق ومساحات تتعدى العناية بالجماليات الأدبية، ليبحث في علاقة النص بالمؤثرات السياسية، والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية، والإيديولوجية والفكرية...

وليس يخفى أن"نظرية" النقد الثقافي، شديدة التأثر بموجة العولمة، وطبيعة هذه العلاقة قد تدفع إلى التساؤل عن مستقبل النقد الثقافي، كمنهج وكإستراتيجية في فهم واحتواء، واحتضان الموضوعات التي يطالها، لاسيما إذا ما غامرنا بالقول، بفرضية قيام وإمكان وجود"مرحلة ما بعد العولمة". أي أن

Résumé

L'importance de la critique culturelle se pose dans l'exclusion du coté sélectif et de l'éloquence du texte, en donnant plus d'importance aux valeurs culturelles du texte, et peut être l'evocation aspects de beauté de ce texte. Cette critique met lumière sur tout ce qui est négligé, marginalisé, caché et impliqué. Cette importance a été donnée plus d'interet quand les doaines des études littéraires sont devenus directement liés à ceux des sciences humaines. En allant plus loin qu'une simple critique littéraire, cette critique couvre d'autres domaines autres que la beauté littéraire en évoquant les implications socio-politiques, historiques, économiques, idéologiques et intellectuelles du texte.

Il est clairement visible et à ne pas nier que la théorie de la critique culturelle est fortement influencée par la tendance de la mondialisation. Ce qui nous pousse à s'intérroger sur le futur de cette critique autant qu'une méthodologie, doctrine et stratégie pour l'approche et la compréhension des sujets qu'elle entame notamment si on extrapole en allant fers une hypothèse d'une ère post-mondialisation. C'est à dire que la mondialisation n'est qu'une phase transitoire limitée par un espace de

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

العولمة موجة تحمل في ثناياها، بذور انهيارها كونها مرحلة عابرة، محدودة بحدود زمنية ليس إلا. ولما كان النقد الثقافي يتسم بخاصية الشمولية، باعتباره ممارسة أو جملة ممارسات نقدية تحليلية متطورة وصارمة، تخترق المجالات الواسعة والعريضة للثقافة الإنسانية المعاصرة، فإن التساؤل عن مستقبله يكتسي قدرا معتبرا من المشروعية، وهي الإشكالية المركزية التي تسعى هذه الورقة إلى معالجتها: **بحكم هيمنة النموذج الأحادي للثقافة، ما مصير النقد الثقافي؟، هل يمكن القول بأفوله والتنبؤ(= التبشير) بمرحلة ما بعد النقد الثقافي؟**.

temps plus ou moin déterminé. Du moment que la critique culturelle se caractérise par la synthèse car elle pratique des critiques analytiques bien améliorées et rigoureuses qui vont au delà des domaines vagues de la culture umanitaire contemporaine, il est nécessaire de se demander sur son futur. Ce genre d'interrogation forme la problématique de cet article. Du moment que la culture individuelle domine, quel est le futur de la critique culturelle? Est ce que sa disparition est prédictible? Et est ce qu'on peut prévoir une ère post-critique culturelle?

توطئة:

تكمن أهمية النقد الثقافي في ابتعاده عن الانتقائية، والاهتمام بالقيمة الثقافية للنص متجاوزا قيمته الجمالية، وربما الكشف عن جماليات أخرى لم يتم الانتباه إليها، كما ويهتم بالمقصي، والهامشي، والمضمر، والمسكوت عنه، والمهمَّش... ولقد ازدادت هذه الأهمية تركيزا حينما تقاربت مجالات الدراسات الأدبية بمجالات العلوم الإنسانية. وبتجاوزه للنقد الأدبي فإنه يكتسح مناطق ومساحات تتعدى العناية بالجماليات الأدبية ليبحث في علاقة النص بالمؤثرات السياسية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والإيديولوجية والفكرية...

وليس يخفى أن"نظرية" النقد الثقافي شديد التأثر بموجة العولمة، وطبيعة هذه العلاقة قد تدفع إلى التساؤل عن مستقبل النقد الثقافي كمنهج وكإستراتيجية في فهم واحتواء واحتضان الموضوعات التي يطالها، لاسيما إذا ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غامرنا بالقول بفرضية قيام وإمكان وجود"مرحلة ما بعد العولمة". أي أن العولمة موجة تحمل في ثناياها بذور انهيارها كونها مرحلة عابرة محدودة بحدود زمنية ليس إلا. ولما كان النقد الثقافي يتسم بخاصية الشمولية باعتباره ممارسة أو جملة ممارسات نقدية تحليلية متطورة وصارمة تخترق المجالات الواسعة والعريضة للثقافة الإنسانية المعاصرة، فإن التساؤل عن مستقبله يكتسي قدرا معتبرا من المشروعية، وهي الإشكالية المركزية التي تسعى هذه الورقة إلى معالجتها: بحكم هيمنة النموذج الأحادي للثقافة، ما مصير النقد الثقافي؟،هل يمكن القول بأفوله والتنبؤ(= التبشير) بمرحلة ما بعد النقد الثقافي؟.

◆- **النقد الثقافي:المفهوم والنشأة والمسار.**

يمثل النقد الثقافي مجالا من مجالات الدراسات الثقافية الذي يتجاوز معطيات النص بما هو نص ليتعامل معه كحقل تتحقق فيه أو تتكشف عنه أنظمة ثقافية وأنماط تعبيرية وإيديولوجية وأنساق تمارس تأثيرها على من يتلقاها سواء كان فردا أو جماعة.إنه ممارسة نقدية أحدثت تغيرا مهما في منهج تحليل الخطاب وتمكنت من استقطاب حقول معرفية متباينة وعملت على استثمار معطياتها النظرية والمنهجية.ومن ثم يرفع النقد الثقافي جملة الحواجز بين التخصصات والمستويات في الممارسات الإنسانية كونها من إنتاج الثقافة.لنتعرف على مدلول هذه الآلية التحليلية للأنساق الثقافية.

◄- ينبغي ابتداء التأكيد على أن النقد الثقافي لا يعني نقد الثقافة، إنه فاعلية تهتم بدراسة ما تنتجه الثقافة من نصوص مادية كانت أو فكرية، على اعتبار أن في هذه النصوص معان ودلالات ذات قابلية للتوليد.معتمدا في ذلك على منهجية"هجينة" تستغل في كثير من الأحيان، الأساليب الإجرائية من آليات وأدوات ومقولات العلوم الإنسانية على وجه التحديد.وهو ما يجعل من النقد الثقافي نشاطا معرفيا منفتحا على تخصصات تلك العلوم وما يجاورها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يرى الباحث والناقد الأمريكي آرثر آزابرغر(Arthur Asa Berge)- وهو أستاذ في فنون الاتصال الإلكتروني بجامعة سان فرانسيسكو- أن النقد الثقافي" نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته، وإن نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات على الفنون الراقية والثقافة الشعبية والحياة اليومية وعلى حشد من الموضوعات المرتبطة، وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال، وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط، والنقد الثقافي الشعبي، وبمقدوره أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والأثروبولوجية الخ...ودراسات الاتصال وبحث وسائل الإعلام والوسائل الأخرى المتنوعة"[1].

في مقاربة آزابرغر مسحة إجرائية تطبيقية لمفهوم النقد الثقافي، حيث نلحظ في كتابه"النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية"الصادر في طبعته الأولى المترجمة إلى العربية عام 2003، استخدامه للمصطلحات والمفاهيم التي يعتمدها النقاد في الأدب والنقد ويحاول تطبيقها على النصوص مع اهتمامه اللافت إلى التنبيه إلى أهمية النص المقروء، لأن العصر عصر الصورة، وعصر سلطة الإعلام.والواقع أن النص الواحد أو الفرع المعرفي الواحد، صار اليوم مخترقا من طرف تلك الفروع المعرفية المتنوعة التي تقتحمه اقتحاما وتلحق تشرذما أو تشظيا بعناصر نسيجه، فتغيب معالم العلاقات ويصير صعبا تبيُّن "ما ينتسب إلى هذا أو ذاك أو ما يشد إلى ذلك"[2]، بحيث تلتبس العلاقة بين البراغماتي والإيديولوجي،والسيميولوجي والأسلوبي والفلسفي والاجتماعي والنفسي، ويضحى

[1]– آرثر آزابرغر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، ترجمة رمضان بسطويسي و وفاء إبراهيم، ضمن إصدارات" المشروع القومي للترجمة" بإشراف د/ جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1،2005، ص30.

[2]– محمد الناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، دار محمد على الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1،1998، ص05

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متعذرا إدراك الحدود والفواصل القائمة بينها، وهذا ما يجعل من النقد الثقافي نشاطا شموليا حيويا واعدا في المشهد النقدي المعاصر.

في تحديد آزابرغر لمدلول مصطلح النقد الثقافي إشارة إلى صعوبة تعريفه كمفهوم كامل الدلالة فهو نشاط وليس نظرية أو منهجا، فهو"لا يزال عليل المنهج،لم يشتد عوده بعد، ولدرجة أنه أصبح دون منهج خاص، إذا ما قيس بصرامة المناهج النصانية التي يأتي على رأسها المنهج البنيوي"[3].إن النقد الثقافي بهذا الفهم، يبقى مجالا غير محدد المعالم بوضوح يتعدد من حيث أسسه النظرية ومقارباته المنهجية، ما يميزه هو الانفتاح على شتى الحقول المعرفية المنتجة للمعنى.مركزا على الأهمية القصوى لدور المؤسسات الثقافية والعلمية في توجيه القراء . وكذا أنماط الخطاب . نحو انساق وتصورات "يتأسس معها الذوق العام، وتتخلق بها الصياغة الذهنية، وتصبح معيارا يحتذى به أو يقاس عليه"[4].

المتفق عليه إذن، أن موضوع النقد الثقافي،من ناحية، هو الثقافة بشموليتها، يبحث فيها مفكرا ومعبرا عن مواقف تجاهها ومواكبا لتطوراتها وراصدا لسماتها.... ومن ناحية ثانية يعد النقد الثقافي خروجا على النص بوصف هذا الأخير مجالا تمارس من خلاله السلطة مما يجعل وضع هذا النص يعكس محنة هذه السلطة.ويبدو بعض التأثير الواضح الذي تمارسه "تفكيكية" دريدا على نشأة وظهور هذا النشاط النقدي حيث تقوم تلك المنهجية على الهدم والتقويض والتعرية والتشتيت،وان اختلفت الغاية والهدف فإستراتيجية التفكيك تروم الكشف عن المتناقض والمتضادات وتسعى إلى تبيان"المختلف"بهدف الهدم أو تأجيله، بينما تسعى آلية النقد الثقافي إلى وضع الأنساق الثقافية المختلفة- التي

---

[3] - فخري صالح وآخرون،آفاق النظرية الأدبية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2007،ص40.

[4] - محمد عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت،ط1، 2000،ص34.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تستخرجها وتعرضها على السطح - في سياقها المرجعي الخارجي فهما وتفسيرا .كما ويبدو على هذا الصعيد، التأثير الميتودولوجي والأيديولوجي البارز القادم من النظريات والإيديولوجيات الكبرى التي اكتسحت الساحة الفكرية والنقدية في القرن العشرين كالماركسية بمختلف التجديدات والتعديلات التي تمظهرت بها عند منظريها(التاريخانية، المادية الثقافية...)وتيارات النقد الجديدة(الاستعماري، النسوي....).

والواقع أن الحديث عن هذا النشاط النقدي يستدعي معرفة كيفية ارتباطه بالمفهوم . المركز الذي يستمد منه وجوده وحركيته ومشروعيته، مفهوم الثقافة الذي هو بذاته يتميز ببعض التمدد والعموم وربمالم يختلف الباحثون في حقل الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية حول مفهوم كاختلافهم في معنى ودلالة مفهوم الثقافة[5]، والمفاهيم المتفرعة عنه أو المجاورة له كمفاهيم الحضارة والمجتمع وعلم الاجتماع الثقافي والدراسات الثقافية الخ.....فهذا المفهوم يتميز بطابعه الروحي مما يجعله يختلف من حيث الدلالة في معناه عند كل من البنيوية أو ما بعد البنيوية و الدراسات الانثروبولوجية الخ...

وإجمالا، نقول إن النقد الثقافي عبارة عن مقاربة متعددة التخصصات، تتجه نحو الأنظمة والأنساق الثقافية لأجل فهم مكوناتها المتخفية في اللاوعي، وهذا عكس ما تقوم به ما يسمى بـ"الدراسات الثقافية" التي تهتم بالثقافة كمنتج وكمستهلك يوزع وينتشر، والتي ظهرت تاريخيا في القرن التاسع عشر الميلادي في

[5]- يحصي علماء الاجتماع أكثر من 160تعريفا للثقافة لعل أشهرها ذلك التعريف الكلاسيكي الذي طرحه عالم الاجتماع البريطاني ادوارد برنت تايلور عام 1871حيث يقول: "الثقافة أو الحضارة بمعناها الاثنوغرافي الواسع، هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع" نقلا عن: محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر،الدارالتونسية للنشر. تونس،ط1، 1991،ص51

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رحاب العلوم الإنسانية والفلسفة وظهور الثورة الصناعية لتتوسع في منصف القرن العشرين وتحديدا عام 1964 حيث تم تأسيس مركز بيرمنغهام للدراسات الثقافية، وقبلها كانت نشأة مدرسة فرانكفورت في الأبحاث الثقافية ذات الطابع النقدي والسوسيولوجي، لتنتشر الدراسات الثقافية بشكل في مجالات عدة، بعد أن استفادت من البنيوية وما بعد البنيوية. وتشكلت على هداها نظريات ومذاهب وتيارات واتجاهات ومناهج نقدية وأدبية وظهرت في الغرب مجموعة من الدراسات الثقافية لدى رولان بارت، وميشيل فوكو، وبيير بورديو، وإدوارد سعيد، وجان بودريار، وجان فرانسوا ليوتار...

ويبقى أن النقد الثقافي اكتسب مشروعية القول به انطلاقا من تلك السمات أو الخصوصيات التي تميز الثقافة والتي من أهمها أنها:إنسانية ومكتسبة ومتطورة ومستمرة ومتكاملة...وهذا الاتساع في حمولة مفهوم الثقافة هو الذي يجعل مفهوم النقد الثقافي يفلت من قبضة التحديد المعجمي كما ألمعنا.

ولعل أشهر تعريف متداول بين المثقفين والنقاد العرب المعاصرين هو ذلك الذي صاغه عبد الله الغذامي . والذي هو في الأصل إعادة لتحديدات الناقد والباحث الأمريكي فنسنت ليتش . حيث نقرأ في مؤلفه"النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية"الصادر عام2000، ما يلي:"النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معنيٌ بنقد الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه، ما هو غير رسمي وغير مؤسساتي وما هو كذلك سواء بسواء. ومن حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهو لذلك معني بكشف لا الجمالي كما كان شأن النقد الأدبي، وإنما همُّه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/الجمالي، فكما أن لدينا نظريات في الجماليات فإن المطلوب إيجاد نظريات في القبحيات لا بمعنى عن جماليات القبح، مما هو إعادة صياغة وإعادة تكريس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للمجهود البلاغي في تدشين الجمالي وتعزيزه، وإنما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحس النقدي"[6].

والواقع أن فانسن ليتش(Vincent B. Leitch) هو أول من قال بمصطلح النقد الثقافي-بالمفهوم الذي عرضناه- وذلك من خلال مؤلفه"النقد الثقافي،نظرية الأدب لما بعد الحداثة" الصادر عام 1992[7]،حيث ركز تركيزا شديدا على أهمية استكشاف ما هو غير مؤسساتي وغير جمالي في الأنظمة النصية وكذا التأكيد على الأنظمة العقلية وغير العقلية لأنظمة الخطاب في النصوص متأثرا بالإسهامات النقدية والجهود المعرفية لفلاسفة ومفكري ما بعد الحداثة في أوروبا من أمثال دريدا وبارث وفوكو ودولوز وغيرهم...عبر تحليلات وتقويمات النقاد الأمريكيين الثلاثة المعاصرين وهم:روبرت شولز(RobertScholes)ممثلاللبنيوية،وهيليز ميلر(Miller Hillis)صاحب التفكيكية، وواين بوث(Wayne Booth)معبرا عن التعددية الليبرالية. واعتبر النقد الثقافي هو مشروعه النقدي مطابقا تمام المطابقة بين مصطلح النقد الثقافي ومفهومي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية.ومع ليتش تحول النص من حامل لرسالة أخلاقية او خاصة إلى نص مشبع بعدد من "الشفرات" و"الكودات"الثقافية التي تقحمه في الخطاب العام للثقافة محررة إياه من الخناق والضيق الذي كان يعايشه حينما كان يرزح تحت نير النظرة النقدية التي كانت تختزل مفهوم النص وتسوِّره بسور ماهو جمالي.

إن النص الذي هو محور النقد الثقافي لا يقرأ لذاته، وإنما ينظر على أنه حامل لنسق أو لجملة أنساق مضمرة لا تظهرها القراءة السطحية المباشرة وربما يكون سبب هذا الضمور هو تلك المسحة السحرية التي يظهر بها الجانب الجمالي، فيسعى النقد إلى اعتراض مختلف حيل وطابوهات الثقافة التي تسعى إلى تمريرها

[6] - -المرجع نفسه، ص83-84.

[7] - الواقع أن ليتش كان قد اهتم بالنقد الثقافي منذ ثمانينيات القرن الماضي لاسيما في عام 1987حيث اصدر كتابه"النقد والطابو:نقد القيم".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عبر أنساقها، فتفضح ما هو مضمر وراء الجمالي، وربما كانت تلك الأقنعة ومختلف الآليات التي يتخفى بها النسق هي مصدر ذلك الاستهلاك الثقافي الذي يبرر جماهيرية النص واستمرارية ذيوعه وانتشاره.

والغاية من النقد الثقافي ذات بعدين: معرفي وآخر قيمي، فهو في توظيفه للأدوات المنهجية والنظريات والمفاهيم التي تقدمها مختلف الحقول والتخصصات المعرفية(مدارس فلسفية ولسانية واجتماعية وأنثروبولوجية...)،يسعى إلى تفتيت البنية الثقافية وفك شفراتها الظاهرة والمتخفية أي الواعية واللاواعية، فيدرس أنظمة الخطاب في النص في تنوعها واختلافها ويتغلغل في مختلف الظواهر الداخلة في حيز الثقافة مثل الثقافة الشعبية وما هو مقصي، أو مهمّش في الثقافات نخبوية كانت أم جماهيرية.ومن ناحية أخرى يكشف النقد الثقافي عن القيم الإنسانية والعناصر الجمالية، كما ويبرز مختلف ما هو سلبي في تلك البنية ظاهرا كان أم عميقا.

◄- وللمقاربة الثقافية خطوات منهجية تستند إليها، يمكن توصيفها من خلال الآليات الإجرائية التالية:

- الانطلاق من النص أو الخطاب باعتباره حاملا لدلالات وعلامات ثقافية تقتضي القراءة النقدية (فهم، تفسير، تأويل).
- الإقلاع من النص أو الخطاب الأدبي والفني والجمالي بغية الوصول إلى النسق الثقافي المضمر.
- الوعي بوجود أنساق ثقافية مضمرة ولاواعية ومن ثم الانتباه إلى مختلف الحيل والأساليب التي تعتمدها الثقافة وتمررها عبر أنساقها.
- إيلاء الأهمية القصوى بالمضمر الثقافي وتجاوز الاهتمام بالدال(الظاهر).
- التركيز على الدلالة النسقية الثقافية للنسق الثقافي المختبئ، وعلى الآليات البلاغية المعتمدة من مجازات وكنايات وصور ودلالات...
- الانتقال من مرحلة التشريح الفهم إلى مرحلة التأويل الثقافي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- الاستفادة من العلوم الإنسانية لاسيما تلك التي لها علاقة عضوية ومباشرة بالنص المنقود.

إن الناقد الثقافي وهو يمارس مهمته النقدية يبقى دائما مشدودا إلى غاية، وهي استجلاء الأبعاد الثقافية وفضح الإيديولوجيات وتقويض الأوهام والأساطير التي تسكن المؤسسة المنتجة للنص قيد الدراسة النقدية. وبنجاحه في هذا العمل النقدي يكون قد جسد قيمة وأهمية النقد الثقافي والتي من أهمها على الإطلاق:

- الابتعاد عن الانتقائية والتعالي.
- تذوق النص تذوقا ثقافيا(تجاوز القيمة الجمالية).
- الاهتمام بالنص المقصي والمهمّش.

◆- تنوع مداخل النقد الثقافي:

إن الدراسات الثقافية فيما يرى آزابرغر هي التي أدت إلى ميلاد النقد الثقافي في النصف الثاني من القرن العشرين حيث ظهرت وقتذاك مدرسة برمنغهام المشار إليها، التي روجت لذلك من خلال نشر أوراق عمل في الدراسات الثقافية[8]، بخلاف بعض المواقف التي تعود بنشأة الدراسات الثقافية إلى تاريخ سابق وتربطها بالانجازات المعرفية والنقدية لمدرسة فرانكفورت وأعمال أخرى لبعض الباحثين والنقاد اليساريين في أوروبا وأمريكا[9]. لقد ساهمت الدراسات الثقافية في إحداث تجديد نظري مهم حيث قلصت الهوة بين الفن والمجتمع وحاربت أسبقية احدهما على الثاني، بالرغم من التباين الظاهري بينهما، لتعرف علاقة الدراسات الثقافية بمجالات الأدب والسياسة والنظرية الاجتماعية والإعلام والاتصال والتكنولوجيا، مراحل وأطوار انتهت الى ظهور نوع من الدراسات الثقافية الخاصة بالأدب تبلورت

[8] - آرثر آزابرغر، النقد الثقافي، مرجع سابق ص31.

[9] - فانسان ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات،ترجمة محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة،القاهرة،ط1،2000،ص37.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في أنماط لاتجاهات نقدية بارزة (تاريخانية جديدة ،مابعد كولونيالية، مادية ثقافية...)،وهذا التموج النقدي والإيديولوجي الذي هيمن على المشهد المعرفي، قدم للنقد الثقافي تأشيرة للمرور إلى عالم التموقع والظهور والانتشار.

لما كان النقد الثقافي ممارسة نقدية تتوسل بوسائل نقدية من أجل فحص النص على تنوعه(لغوي،صوري،صوتي) وتحليله للكشف عن أنظمة تشكله السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية المختبئة فيه،فإن لهذه الممارسة مداخل متنوعة ومتداخلة لولاها ما اكتسب هذا القدر من الثبات في ساحة المشهد النقدي المعاصر،ذلك أن الناقد الثقافي لا ينقد أنظمة الخطاب من دون خلفية قد يكون مصدرها جماعات أو اتجاهات(الاتجاه التأويلي، التفكيكي، الاتجاه النسوي، الماركسي، والسيميولوجي، الاتجاهات التي تهتم بدراسة أنواع الشذوذ الجنسي، التحليل النفسي، التحليل الأنثروبولوجي، الاجتماعي...).إن الدراسة الموضوعية لقضايا النقد الثقافي من مثل القضايا المتعلقة بالجنوسة، والحركات الاجتماعية والمسائل الأيديولوجية والثقافات الشعبية وموضوعات الحياة اليومية، وقضايا أخرى متنوعة[10]،يضفي عليها هذا المزيج من الأجهزة المنهجية والمفاهيمية بحيث يرتبط بها جهدهم الإبداعي ارتباطا وثيقا[11].

والنقد الثقافي عندما يدرس الثقافة الشعبية والإعلام والصحافة على سبيل المثال - لا الحصر- يستثمر مثلا، مفاهيم التحليل النفسي فيستعير مفهوم اللاوعي الفردي من فرويد ومفهوم اللاوعي الجمعي من يونغ، ومن البيِّن أن النصوص الأدبية والثقافية ذات صلة قوية باللاوعي، وليس يخفى أيضا ارتباط الجانب الأكسيولوجي والإثنوغرافي والأنثروبولوجي باللاوعي الجمعي. ويستغل النقد الثقافي مفاهيم السيميولوجيا(علم الدلالات أو علم العلامات) ويوظفها موسعا

[10]- ينظر: ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الاسلامي وفي الفكر العربي المعاصر، دار الفكر الجديد، بيروت، ط1،2009، ص 353.

[11] - – آرثر آزابرغر، النقد الثقافي، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، مرجع سابق، ص 38.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاهتمام بها لاسيما في موضوعات الأدب والإعلام المرئي والمقروء فيعمد النقاد إلى الاهتمام بالصورة والرمز مركزين على العلاقة التي تشد تلك المفاهيم إلى سياق النظام السياسي والاجتماعي السائد دون تجاهلهم لتلك المهام "الخطيرة" التي تجسدها تلك الصور على مستوى نظام الحياة الاجتماعية والسياسية للناس. ويستفيد الدرس النقدي في مجال الثقافة من مفهوم استراتيجي في التحليلات السيميولوجية، إنه مفهوم"الشفرة الثقافية" - على غرار الشفرة الوراثية في علم البيولوجيا- الذي يعكس التركيبة المضمرة (الكروموزومات الثقافية)التي تحتوي على مختلف أنماط السلوك والعادات والمعتقدات والقيم والأخلاق...فتتكامل ممارسة النقاد بتكامل النظريات والاتجاهات النقدية من تفكيك وتأويل...لفك مكونات تلك الشفرات الثقافية التي تقبع داخل نسق أو أنساق النص[12].

ويركز النقد النسوي - في علاقته بالنقد الثقافي - كثيرا على مفاهيم يستقيها من مجالات نقدية ومعرفية متنوعة كالتحليل النفسي أو الماركسي أو غيرهما، فيوظف مفهوم الهيمنة مثلا وينظر إليه كمفهوم أساسي خاصة عندما يتعلق الأمر بـ"الهيمنة الذكورية"، فيعمل على رصده وربطه بقضايا المرأة وصورتها في الإعلام والمعتقد والتاريخ... دون تجاهل الاستغلال الجنسي لجسد المرأة، وموضوعات الطابو الأخرى ذات الصلة(الشذوذ الجنسي، اللواطية، السحاق، المثلية الجنسية والاغتصاب الخ...).

والعارف بقضايا النقد الثقافي يدرك بعض"اليسارية"الواضحة التي تميز مساره وحركيته، ذلك أن الحضور الماركسي في النقد الثقافي كان كثيفا عند أغلب النقاد،بل إن مفاهيم الماركسية من مثل "الطبقة"و"الاغتراب"و"الآخر"الخ... رصعت ديباجة مشروع النقد الثقافي لاسيما في مراحل نشأته الأولى،كما وأن

[12]- يستخدم علماء السيميولوجيا مفاهيم دقيقة على هذا الصعيد، من مثل مفهومي "فك العلامات" و"الدلالة ثقافية"...للمزيد من الاطلاع، يرجى العودة الى مؤلف آزابرغر المشار إليه أعلاه حيث ان الكاتب ناقد اعلمي بامتياز كما اشرنا سابقا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سيطرة التوجهات الـ"نيو- ماركسية" لا تحتاج إلى كثير عناء لإثبات ذلك، وأغلب النقاد في هذا المضمار هم إما ماركسيون بالصراحة، أو ماركسيون في بعض الجوانب لاقتراب تحليلاتهم من الجهاز المفاهيمي للماركسية(لاسيما الإصرار الأيديولوجي على أهمية الانطلاق من الواقع ونقده...)،لكن دون أن يعني هذا أن النقد الثقافي يتبنى الماركسية تقليدية كانت أو معدلة في مطلق الأحوال.

وهذا التنوع في المداخل يترتب عنه صعوبة تحديد تعريف لهوية الناقد الثقافي أي أن هناك نقاد لكن بحسب توجهاتهم وانتماءاتهم ومن ثم فهم متعددون بتعدد مداخل النقد الثقافي، فهناك الناقد التأويلي والماركسي، والتاريخي، والنفسي، والنسوي، الخ....وينبغي على الناقد أن يكون على درجة من المستوى المعرفي والفكري، أي أن موسوعية النقد الثقافي تقتضي أن يكون هذا الناقد مالكا لثقافة عميقة، وفي المقابل فإن القارئ لهذا الناقد ينبغي له هو أيضا أن يكون مطلعا على أفكار النقاد وعلى درجة عالية بالموضوعات التي تكون قيد البحث والتحليل في النقد الثقافي. لقد استوعب النقد الثقافي الكثير من الاتجاهات النقدية، والمناهج والمقاربات، وانفتح على حقول معرفية متباينة، لقد كان بمثابة "مظلة واسعة غطت الاتجاهات النقدية الأخيرة...داخل خيمة الثقافة الغربية"[13].

◆- النقد الثقافي: المصير والمآل.

لاشك أن **النقد** الثقافي أحدث انكسارا معرفيا داخل سيرورة الفكر النقدي الغربي المعاصر، وهو يعكس من ناحية محدودية الوعي الحداثي بالعمل على تجاوز مقولاته وفرضياته النقدية، وشاهد عيان على"حتمية" الانتقال إلى ما بعد الحداثة من ناحية ثانية، أين شهد الدرس النقدي "انقلابات" على المستوى المفاهيمي، حيث أضحت الثقافة فيما يرى ليتش"دينامية ومتعددة الأوجه، يدخل

[13] - عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه،دراسة في سلطة النص، سلسلة عالم المعرفة الكتاب رقم298، مطابع السياسة- الكويت، نوفمبر2003، ص351.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيها الاقتصاد والتنظيم الاجتماعي والقيم الأخلاقية والمعنوية والمعتقدات الدينية والممارسات النقدية والأبنية السياسية وأنظمة التقييم والاهتمامات الفكرية والتقاليد الفنية"[14]، وبذلك غدا النقد الثقافي فيما يقول الغذامي قادرا على "الدخول في أوجه الثقافة، لاسيما تلك التي يهملها عادة النقد الأدبي"[15]،وصار ينظر إلى الأبعاد التي تنطوي عليها الثقافة، لاسيما الجانب المهيمن، ومكنت مسيرة النقد الثقافي القصيرة جدا بالمقارنة مع مسيرة نظيرتها في النقد الأدبي، من تحقيق فتوحات وانتصارات نقدية، ساعدت على إعادة النظر في الكثير من الأحكام والمسلمات التي يتم قبولها على أنها صحيحة ويقينية.

لا نستطيع المغامرة بالقول أن النقد الثقافي يعاني وضعا مأزقيا إلا إذا تفحصنا حقيقة علاقته بالنقد الأدبي حاضرا ومستقبلا. فهل بات النقد الأدبي عاجزا حتى يحل محله النقد الثقافي؟.هل يمكن القول بموت النقد الأدبي؟.هل هما متكاملان أم متباينان؟.

إن النقد الثقافي -كما مرّ بنا- ينظر إلى النص الأدبي على أنه حدث ثقافي، ولا يهمُّه أن يكون ذا مستوى جمالي رفيعا كان أو وضيعا، فهو"يتذوق"هذا النص بوصفه قيمة ثقافية، ويسعى دوما إلى اكتشاف جماليات جديدة فيه، أو في الواقع بوصفه نصا واسعا وأشمل"يطرح علاماته،ويوجِّه النظر لما تحمله من دلالات وتطرحه من أنظمة لها قيمتها في سياق الفكر الإنساني"[16].

يعرض آرثر آزابرغر لهذه الإشكالية من خلال الإشارة إلى أن النقد الثقافي "يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد" فهما من هذه الناحية متباينان من حيث السعة والشمول، ومن ناحية أخرى فهما مشتركان، لأن نظرية الأدب"تطرح مسائل

[14] - فانسن ليتش، النقد الأدبي الأمريكي ،مرجع سبق ذكره،ص104.

[15] - عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، مرجع سابق،ص31 وما يليها.

[16]- مصطفى الضبع، أسئلة النقد الثقافي، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، المنيا، من 23 الى 26 ديسمبر13،2003.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مهمة حول النصوص والقراء المتلقين للنصوص، وتعنى بعلاقات الأعمال الفنية بالثقافة، وعلاقة القضايا الثقافية بالمجتمع والسياسة"[17].

والواقع أن النقد الثقافي بمعناه مابعد البنيوي وتحديدا عند ليتش،لا ينكر وجود علاقة بين "النقدين"، إذا ما راعينا المحددات والمعالم التي يتميز بها النقد الثقافي، والتي يعرضها كالأتي:

- عدم اقتصار النقد على الأدب المعتمد،أي المتعارف عليه من شعر ونثر فني.

-أن يعتمد على نقد الثقافة وتحليل النشاط المؤسسي بالإضافة إلى اعتماده على المناهج النقدية التقليدية.

-أن يعتمد على مناهج مستقاة من اتجاهات مابعد البنيوية كما تتضح لدى بارث ودريدا وفوكو"[18].

ويبدو أن المسافة بين النقد الأدبي ونظيره الثقافي لا تكون بعيدة بسبب طبيعة كل منهما بل أن العلاقة بينهما تظل أقرب إلى التكامل منها إلى الاختلاف، فكلاهما يتميز بضرورته للآخر كما يتصور الباحث العربي فهي جدعان، ذلك أن: "العملية النقدية لا تتجزأ...فالنقد الأدبي ضروري للإبانة عن جماليات النص وهن شروط الحساسية الجمالية" وكذلك فإن النقد الثقافي ضروري للإبانة عن الأنساق الدفينة في النص، وعن الخبايا النفسية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية للنص"...وباعتبار آخر أن نرى في النقد الأدبي وفي النقد الثقافي ما رآه أرسطو في الموجود: النقد الثقافي هو الصورة، والنقد الأدبي هو المادة، النقد الأدبي هو الشكل، والنقد الثقافي هو المضمون"[19].

---

[17] - انظر: شكري عزيز الماضي، العلاقة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي، مجلة البحث العلمي الأردنية، العدد01، 2009، ص98.

[18] - المرجع نفسه، ص100.

[19] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه المقاربة الفلسفية تنظر إلى أن النقد الثقافي ليس بديلا للنقد الأدبي، أو إلغاء منهجي له، وهو ما لا يراه الناقد السعودي الغذامي بالمرة ويعلن أن النقد الأدبي قد مات، لأنه: "غير مؤهل لكشف الخلل الثقافي الذي يلتبس- حسب تعبير الناقد العربي على حرب- داخل عملية تواطؤ الأضداد النصية، والتي تشتغل ضمن نسق مخاتل يشير بشكل ثابت نحو بنية المركز الثقافي التي تسهم في عملية تلوين البنى السطحية التي تضطلع هي الأخرى بمهمة تمويه نسقية"[20].إن النقد فيما يضيف الغذامي"أوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي"[21]. إن العلاقة بين الجمالي والثقافي في النص هي في جوهرها علاقة تواطؤ، فالنقد الأدبي يبقى دائما يرزح تحت سلطة المؤسسة/النسق على عكس النقد الثقافي الذي يعيش تحرر من هذا الوضع بل انه يخضع هذه المؤسسة /النسق للتشريح والنقد والمساءلة.

إن فاعلية النقد الثقافي وانتشاره، لا تعني قوقعة النقد الأدبي وانحساره، فلهذا الأخير إرثه التاريخي في مقابل فتوة النقد الثقافي وحداثة نشأته، **لكن هل يمكن القول بموت النقد الثقافي؟.**

طغت على سطح الفكر الغربي المعاصر فكرة القول بـ"النهايات"، نتيجة التطورات النوعية والمتلاحقة لكافة مجالاته، وكان من نتائج هذا التطور أن تزعزعت الرؤية للوجود وللأشياء وللإنسان، مما أدى إلى الانتقال من عالم الإيمان واليقين إلى عالم الشك والنسبية بل والى العدمية والإلحاد ....وتعاظم الاعتقاد أن بداية النهاية في الفكر قد حلت، وتجلى ذلك من خلال توظيف مفاهيم فلسفية

[20] - فتحي منصورية، عبد اله الغذامي وسلطة المرجع الغربي، قراءة في مأزقيه النقد العربي المعاصر ضمن كتاب "الموسوعة العربية المعاصرة "تحولات الخطاب من الجمود التاريخي الى مآزق الثقافة والايدولوجيا، إشراف إسماعيل مهنانة، مجموعة من الأكاديميين العرب، دار الآمان(الرباط)، منشورات ضفاف(بيروت)،منشورات الاختلاف(الجزائر)،2014،ص20

[21] - – عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، مرجع سابق، ص08.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعكس هذا التوجه في الحياة، وصار التركيز على تداول بعض المفاهيم شبه "موضة" فكرية لموضوعاته وتأويلاته، مفاهيم من مثل نهاية التاريخ ونهاية الايدولوجيا ونهاية البنيوية ونهاية الحداثة...ليسود مفهوم جديد يكرس هذه النهاية ويشرع لها، إنه مفهوم "الموت" فقال نيتشه بـ"موت الإله"(موت القيم) وفوكو بموت "الإنسان"(الإنسان الفاقد لوجوده المؤثر في العالم) وماركس بموت"الإيمان"(الدين تخذير للشعوب) وفرويد بموت"الذات الواعية"(بنية الإنسان الحقيقية هي اللاوعي والجنس)...

وفي عام 1968 قال الناقد والأديب الفرنسي الشهير بارث بـ"موت المؤلف"[22] (عدم الاهتمام بشخصية الكاتب عند تحليل العمل الأدبي، أي سحب قيمة النص عن عبقرية كاتبه).... تبدو تأثيرات الفلسفة المعاصرة القائلة بموت الإنسان بارزة على موقف بارث الجديد، فالنص مجهول النسب، لا أصل له، لنستمع إليه وهو يقول: "النص مصنوع من كتابات مضاعفة، وهو نتيجة لثقافات متعددة، تدخل كلها بعضها مع بعض في حوار، ومحاكاة ساخرة وتعارض. ولكن ثمة مكان تجتمع فيه هذه التعددية. وهذا المكان ليس الكاتب، كما قيل إلى الوقت الحاضر، إنه القارئ. فالكاتب هو الفضاء نفسه، وفيه تكتب كل الاستشهادات نفسها دون أن يضيع منها شيء واحد. فالكتابة مصنوعة منها، وإن وحدة النص ليست في أصله، وإنما في القصد الذي تتجه إليه."[23]. فما يميز العمل ليس هو اهتمامات صاحبه أو نواياه، وإنما السمة التي تميز الكتاب، إن غياب الكاتب، ينبغي أن يعوضه حضور الناقد أو القارئ فهذا الأخير "يجمع في حقل واحد كل

---

[22]- لمزيد من الاطلاع، أنظر: رولان بارث،نقد وحقيقة، ترجمة منذر عياشي، الأعمال الكاملة3، مركز الإنماء الحضاري، الرباط، المغرب، ط1، 1994، من ص15 الى 25.(مع مقدمة توضيحية للكتاب لمحمد عبد الغذامي من ص7 الى ص12.

[23] - بارث، نقد وحقيقة، ص24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الآثار التي تتكون الكتابة منها...فموت الكاتب هو الثمن الذي تتطلبه ولادة القراءة"[24].

في مقابل موت الكاتب إذن، يقوم ميلاد القارئ، الذي يصبح مالكا لسلطة مطلقة على النص فيتصرف فيه ويستبيحه كيفما يشاء، ويصير التلاحم بينهما قويا حتى ليغدو القارئ هو النص والنص هو القارئ، وهذه المتعة العالية والمركزة في القراءة هي عبر عنه بارث بمقولته الشهيرة والتي هي عنوان لأحد كتبه، "لذة النص"[25]. لكن هذا الحضور المضخم للقارئ سرعان بدأ في التلاشي التدريجي جراء الموجة النقدية الجارفة التي شهدها الفكر النقدي الغربي لاسيما في بلاد العم سام على حد تعبير الناقد والمثقف الأمريكي البارز نعوم تشو مسكي، فمع مطلع التسعينيات من القرن العشرين، سيعلن النقد الثقافي- وفق الشروحات التي قدمناها-"موت القارئ" لينتصر إلى سلطة النص وحدها، فلا مؤلف ولا قارئ، وإنما للثقافة التي أنتجته والمتخفية في ثناياه أي لأنظمة الخطاب ولسلطة النسق أو الأنساق الكامنة في عمق العمل أو النص الأدبي، وربط ذلك كله بالاتجاهات النقدية ومختلف الخطابات غير الأدبية، على اعتبار أن النص في النهاية هو نتاج المعرفة والسلطة السائدتين. وهو ما دعا إليه ليتش وآخرون، وروّج له عند العرب، الغذامي الذي نقرأ له هذا التصريح الانبهاري بالمنجز الغربي، مؤبنا النقد الأدبي قائلا: "وبما أن النقد الأدبي غير مؤهل للكشف عن هذا الخلل الثقافي، فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي، وإحلال النقد الثقافي مكانه "[26]. **وبعد، هل"تقاعد" النقد الثقافي؟.**

الواقع أن الممارسة النقدية على هذا الصعيد لها من الايجابيات مالا يمكن إنكارها، لكن ذلك لا يعني عدم تسجيل السلبيات والنواقص التي من أهمها:

---

[24] - المرجع نفسه، ص25.

[25] - توضيحي من المترجم، من ص7 الى ص15

[26] - الغذامي، النقد الثقافي، ص08.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- التركيز على ما هو خارجي ومرجعي وإيديولوجي.
- الاعتماد على التأويل الشخصي الذاتي،مما يجعل نتائجه تنبني على انطباعية ملموسة، وهو ما يحول دون تحقيق الموضوعية التي هي عنوان الدقة العلمية.
-النظر إلى النص الأدبي أو الخطاب الجمالي نظرة ثقافية ضيقة ومبتذلة، والتعامل معه كنسق حافل بمضامين إيديولوجية وثقافية.
- القصور والمحدودية والانغلاق عندما يعمل على استبعاد أو إهمال الجماليات وكل ماهو فني.
- الوقوع تحت هيمنة التسييس، أي أن نتائجه تتحول إلى أحكام سياسية وأيديولوجية تعمم دون الاستناد على معايير جمالية.

إن الإشارة إلى مثل هذه الهنّات لا تعني بداهة، عدم جدوى النقد الثقافي، فقراءة النصوص على اختلافها بهذه الآليات والطرق الإجرائية التي يستند إليها النقد الثقافي في الكشف والتحليل تمثل ثورة منهجية وفتحا نقديا في الدراسات الثقافية والأدبية وفي مجالات علمية إنسانية متنوعة، حيث تمت إعادة النظر في الكثير من الأحكام والمسبقات والمسلمات، وتصحيح بعض المفاهيم، وتصويب مقاربات وانتقل بالدراسات النقدية والفلسفية إلى مزيد من التخلي عن الدوغمائية، وتحقيق المزيد من الاستمرارية لفعالية الثقافة والعمل على استجوابها أكثر، واختبار لاتجاهات فكرية وأيديولوجية في قراءة النصوص قراءة جديدة.

وليس يخفى تأثر النقد الثقافي بطروحات مابعد البنيوية وما بعد الحداثة والدراسات الاجتماعية والسياسية والثقافية ....وهو ما يجعل النظر إليه من زاوية، أنه ليس سوى مظهر من مظاهر العولمة، يرافق توتراتها، ويتفاعل مع معطياتها ورهاناتها، مسايرا الركب الحضاري. ورغم الهيمنة التي تمارسها الدوائر المعاصرة القوية(القوى ذات السطوة) والتي قد تجعل من النقد الثقافي رمزا للتواطؤ، والتحيز لصالح تلك الدوائر، أو القوى التي تمتلك أسباب بقائه، يبقى القول بموته أو انحساره، هو موقف غير معرفي من جهة، لأن ارتباطه بالنقد الأدبي وبالفلسفة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعلوم الإنسانية هو الذي يجعله حيا ومستمرا، بالنظر إلى حداثة نشأته وشموليته من جهة أخرى. وسيظل ميدان النقد الأدبي تحديدا، هو المعين الذي لا ينضب الذي ينهل منه النقاد الثقافيون، فالإبداعات الأدبية والنقدية عبارة عن حياة، وهذه الحياة لا تتوقف، ويبقى تكامل النقد الأدبي مع نظيره الثقافي، عنوانا لتكامل خصوصية النقد الأدبي كقراءة للنص مع خصوصية النقد الثقافي كقراءة للنسق في ظل العبارة الدريدية، المقولة- البروتوكول للنقد الثقافي مابعد البنيوي- كما يصفها ليتش-"لا شئ خارج النص".

- وما يدعو إلى التأكيد على"عدم موت النقد الثقافي" باعتباره مشروعا لم يكتمل، هو ظهور ما يسمى بالنقد الإلكتروني الذي هو في جوهره عبارة هن جانب أو جزء من مدارات النقد الثقافي، رغم أن ملامحه لم تتوضح بعد حتى داخل المشهد النقدي الغربي نفسه ناهيك عن نظيره العربي المتأزم. والنقد الإلكتروني كما يعرفه أحد الباحثين العرب هو:"...نقد أدبي يقوم على استثمار الإمكانات المعرفية الهائلة، وأنهار المعلومات والوثائق الأدبية السياسية والاجتماعية...الخ التي تتيحها على نطاق واسع أجهزة الحاسبات الشخصية، وبخاصة إذا كان الناقد معاصرا مشتركا في شبكة عالمية مثل شبكة الأنترنت، التي توفر له جميع المراجع الأدبية والنقدية والوثائق والنصوص التي يحتاج إليها بمجرد ضربه على أحد أزرار لوحة المفاتيح."[27].ويضيف الباحث نفسه واثقا من قدرة "الناقد الإلكتروني" وهو يعتمد على التقنيات الحاسوبية: "إن الوسيلة النقدية الالكترونية، سوف تسهم في تذليل الكثير من العقبات التي قد يتعذر على الناقد تجاوزها بالطرق التقليدية. بل إنها ستفتح له آفاقا نقدية جديدة، وستمنحه رؤى وأفكار قد لا تخطر على باله أثناء ممارسته للعملية النقدية التقليدية...كما أننا لا نستطيع القول بـ(موت

[27]- أحمد فضل شبلول، أدباء الانترنت أدباء المستقبل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط3،1999،ص60. أنظر أيضا لنفس المؤلف كتابه "ثورة النشر الالكتروني" الصادر عن نفس الدار عام 2004.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الناقد)أمام جهاز الحاسب الشخصي، أو داخل شبكة الأنترنت، فهو في النهاية الإنسان الذي يستثمر كل هذه الطاقات والإمكانات الإلكترونية في سبيل انجاز مشروع أدبي أو نقدي."[28].

يرتكز النقد الإلكتروني على المنجزات والمكاسب التي حققتها الثورة الاتصالية، هذه الأخيرة التي يقول عنها الغذامي نفسه أنها" أعطت الإنسان وسيلة للتمدد لم تتوافر له من قبل، وهذا زاد من قدرته على الرؤيا وعلى الوصول، ومن ثم فإن أدوات وآليات التفسير والتأويل القديمة صارت الآن قاصرة، مثلما أن آليات التذوق قد تغيرت تبعا لذلك، والتغير الضخم في الوسائل هو المسؤول عن كل التغيرات النوعية في الفهم والتفسير...وليس النقد الأدبي سوى آلة من آلات الفهم والتفسير، وكان يخدم موضوعه حينما كان الموضوع محددا مثل تحديد الوسيلة، أي أن المنتوج أدب وآلة التناول ستكون نقدا أدبيا"[29].

بيد أن النقد الإلكتروني قد يثير بعض التساؤلات من مثل: ما موقع الأحاسيس والشعور في الممارسة الأدبية والنقدية؟. هل ستتوارى الذاتية التي هي جوهر التذوق والمتعة في الفن والجمال ؟.أين الدور الإنساني للناقد؟....ووحده المستقبل يحمل عناصر الإجابة عنها. ويبقى دائما، أننا لا نستطيع القول بموت الناقد في عصر المعلوماتية والثورة الاتصالية، فبمقدوره الاستفادة من عصر التكنولوجيا دون أن تلغي حضوره ودوره الفكري والحضاري.

وأما في عالمنا العربي المعاصر، فلا تزال الدراسات النقدية مرتهنة إلى النقد الغربي في الكثير من القضايا والأدوات والمفاهيم، ولم تستطيع الخروج من التوصيف والعرض، باستثناء محاولات رائدة قليلة كإسهامات إدوارد سعيد وعلي حرب وعبد الله الغذامي.. .

---

[28] - المرجع نفسه، ص72- 73.

[29] - عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر ، دمشق – سوريا، ط1،2004ص152-153.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإحالات:

1- آرثر آزابرغر،النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية،ترجمة رمضان بسطويسي و وفاء إبراهيم،ضمن إصدارات" المشروع القومي للترجمة" بإشراف د/ جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،ط.1،2005

2- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء. بيروت،ط1، .2000

3- عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف،نقد ثقافي أم نقد أدبي،دار الفكر، دمشق- سوريا،ط1، .2004

4- محمد الناصر العجيمي،النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية، دار محمد على الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس،ط.1،1998

5- فخري صالح وآخرون،آفاق النظرية الأدبية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2007

6- محمد السويدي، مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحا ته، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، الدار التونسية للنشر. تونس،ط.1،1991

7- فانسن ليتش، النقد الأدبي الأمريكي من الثلاثينيات إلى الثمانينيات،ترجمة محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1،2000.

8- ناظم عودة، تكوين النظرية في الفكر الاسلامي وفي الفكر العربي المعاصر، دار الفكر الجديد، بيروت، ط.1،2009

9- عبد العزيز حمودة،الخروج من التيه،دراسة في سلطة النص،سلسلة عالم المعرفة الكتاب رقم 298، مطابع السياسة- الكويت،نوفمبر.2003

10- مصطفى الضبع،أسئلة النقد الثقافي،مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم،المنيا، من 23الى 26 ديسمبر2003.

11- رولان بارث، نقد وحقيقة، ترجمة منذر عياشي، الأعمال الكاملة3،مركز الإنماء الحضاري، الرباط، المغرب،ط1، 1994.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

12- رولان بارث،لذة النص،ترجمة منذرعياشي،الأعمال الكاملة1، مركز الإنماء الحضاري،الرباط ، المغرب، ط1، 1992
13- أحمد فضل شبلول، أدباء الانترنت أدباء المستقبل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1999،3.
14- شكري عزيز الماضي، العلاقة بين النقد الأدبي والنقد الثقافي، مجلة البحث العلمي الأردنية، العدد01، 2009.
15- فتحي منصورية،عبد الله الغذامي وسلطة المرجع الغربي،قراءة في مأزقيه النقد العربي المعاصر ضمن كتاب"الموسوعة العربية المعاصرة" تحولات الخطاب من الجمود التاريخي إلى مآزق الثقافة والايدولوجيا،إشراف إسماعيل مهنانة،مجموعة من الأكاديميين العرب،دار الآمان(الرباط)، منشورات ضفاف(بيروت)،منشورات الاختلاف(الجزائر)ط1، 2014.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com